

سورة الناس

* {مَلِكِ النَّاسِ}

* {إِلَهِ النَّاسِ}

قوله: {مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ}: يجوزُ أَنْ يكونا وصفَيْنِ لـ "رَبِّ النَّاسِ" وَأَنْ يكونا بَدَلَيْنِ، وَأَنْ يكونا عطفَ بيانٍ. قال الزمخشري: "فإن قلت: مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، ما هما مَنْ رَبُّ النَّاسِ؟ قلت: عطفُ بيانٍ كقولك: سيرةُ أبي حفصِ عمرَ الفاروقِ، بَيَّنَّ بملكِ النَّاسِ، ثم زيدَ بياناً؛ لأنه قد يُقال لغيره "رَبُّ النَّاسِ" كقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} وقد يُقال: مَلِكُ النَّاسِ، وَأَمَّا إِلَهُ النَّاسِ فخاصُّ لا شَرَكَةَ فِيهِ، فَجُعِلَ غَايَةَ الْبَيَانِ "واعترض الشيخُ بأنَّ الْبَيَانَ بِالْجَوَامِدِ. وَيُجَابُ عَنْهُ: أَنَّ هَذَا جَارٌ مَجْرَى الْجَوَامِدِ. وقد تقدّم في "الرحمن الرحيم" أو الفاتحة تقريرُهُ.

وقال الزمخشريُّ: "فإن قلتَ لِمَ قيل: "بَرِّ النَّاسِ" مضافاً إليهم خاصة؟ قلت: لأنَّ الاستعاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ فِي صَدُورِ النَّاسِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمْ الَّذِي يَمْلِكُ أَمْرَهُمْ" ثم قال: "فإن قلت: فهلاًَّ اكْتَفِيَ بِإِظْهَارِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً. قلت: لأنَّ عطفَ الْبَيَانِ فَكَانَ مَظِنَّةً لِلإِظْهَارِ."

* {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}

قوله: { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ } : قال الزمخشري: "اسمٌ بمعنى الوسوسة كالزَّلزال بمعنى الزَّلزلة، وأمَّا المصدرُ فوسواسٌ بالكسر، كالزَّلزلة، والمرادُ به الشيطانُ سُمِّيَ بالمصدرِ كأنه وَسْوَسَةٌ في نفسه، لأنها صَنَعَتْهُ وشَغَلَهُ. أو أريد ذو الوَسْوَاسِ " انتهى. وقد مَضَى الكلامُ في أنَّ المكسورَ مصدرٌ، المفتوحَ اسمٌ في الزلزلة فليُراجِع. قوله { الحُنَّاسِ }، أي: الرَّجَّاع، لأنه إذا ذُكِرَ اللهُ تعالى حَنَّسَ وهو مثالٌ مبالغَةٍ من الحُنوس. وقد تقدَّم اشتقاقُ هذه المادةِ في سورة التكوير.

* { الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ }

قوله: { الَّذِي يُوسُّوسُ } : يجوزُ جَرُّهُ نعتاً وبدلاً وبياناً لجريانه مجرى الجوامد، ونصبه ورفعُه على القطع.

* { مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }

قوله: { مِنْ الْجِنَّةِ } : فيه أوجهٌ، أحدها: أنه بدلٌ من "شَرِّ" بإعادة العامل، أي: مِنْ شَرِّ الْجِنَّةِ. الثاني: أنه بدلٌ مِنْ ذِي الْوَسْوَاسِ؛ لأنَّ الْمَوْسُوسَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. الثالث: أنه حالٌ من الضميرِ في "يُوسُّوسُ" أي: يُوسُّوسُ حالٌ كونه مِنْ هَذَيْنِ الْجَنَسَيْنِ. الرابع: أنه بدلٌ من "الناسِ" وجَعَلَ "مِنْ تَنْبِيئاً. وَأَطْلَقَ عَلَى الْجِنِّ اسْمَ

الناس؛ لأنهم يتحرَّكون في مُراداتهم، قاله أبو البقاء. إلاَّ أنَّ الزمخشري أبطلَ فقال بعد أن حكاه: "واستدلُّوا بـ {نَفَرٌ} و {رِجَالٌ} ما أحقَّه؛ لأنَّ الجنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجتنانهم ولأنَّ ناساً ناساً لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سُمُّوا بَشَرًا. ولو كان يقع الناسُ على القبيلينِ وصَحَّ وثَبَّتَ لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده من التصنُّع، وأجودَ من أن يرادَ بالناسِ الناسي كقوله: {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} وكما قرئ {مِنْ حَيْثُ أَفْضَلَ النَّاسِي} ثم بُيِّنَ بالجنة والناس؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ هما النوعان الموصوفان بنسيان حَقِّ اللَّهِ تعالى "قلت: يعني أنه اجتزئ بالكسرة عن الياء، والمرادُ اسمُ الفاعلِ، وقد تقدَّم تحقيق هذا في البقرة، وأنشَدتُ عليه هناك شيئاً من الشواهد.

الخامس: أنه بيانٌ للذي يوسوسُ، على أن الشيطان ضربان: إنسيُّ وجنيُّ، كما قال {شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} وعن أبي ذر: أنه قال لرجل: هل استعدت من شياطينِ الإنس؟ السادس: أنه يتعلَّق بـ "يُوسوس" و"مِنْ" لابتداء الغاية، أي: يُوسوسُ في صدورهم من جهة الجنِّ ومن جهة الإنس. السابع: أنَّ "والناس" عطفٌ على "الوسواس" أي: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ وَالنَّاسِ. ولا يجوزُ عطْفُه على الجِنَّة؛ لأنَّ الناسَ لا يُوسوسونَ في صدور الناسٍ إنما يُوسوسُ الجنُّ، فلمَّا استحالَ المعنى حُجِّلَ على العطف على الوسواس، قاله مكي وفيه بُعدٌ كبيرٌ للبس الحاصل. وقد تقدَّم أنَّ الناسَ يُوسوسون أيضاً بمعنى يليقُ بهم.

الثامن: أنَّ {مِنَ الْجِنَّةِ} حالٌ من "الناس"، أي: كائنين من القبليين، قاله أبو البقاء، ولم يُبيِّن: أيُّ الناسٍ المتقدمُ أنه صاحبُ الحالِ؟ وعلى كلِّ تقديرٍ فلا يصحُّ معنى

الحالية [في شيءٍ منها]، لا الأول ولا ما بعده. ثم قال: "وقيل: هو معطوف على الجِنَّة" يريد "والناس" الأخير معطوفٌ على "الجِنَّة" وهذا الكلامُ يَسْتَدْعِي تقدُّمَ شيءٍ قبله: وهو أن يكونَ "الناس" عطفاً على غير الجِنَّة كما قال به مكي ثم يقول: "وقيل هو معطوفٌ على "الجِنَّة" وفي الجملة فهو كلامٌ متسامحٌ فيه [سأخنا الله] وإياه وجميع خلقه بمنَّةٍ وكرمه وختمَ لنا منه بخيرٍ، وختمَ لنا رضاه عنَّا وعن جميع المسلمين.

رَمَهُ وختمَ لنا منه بخيرٍ، وختمَ لنا رضاه عنَّا وعن جميع المسلمين.

وهذا آخرُ ما تيسَّر لي من إملاءِ هذا الموضوعِ وحصرِ ما في هذا المجموع متوسِّلاً إليه بكلامه متشققاً لديه برسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلّم في أن يجعله خالصاً لوجهه مُوجِباً للفوز لديه، فإنه حسبي ونعم الوكيل. ووافق الفراغُ منه تصنيافاً وكتابةً في العُشْرِ الأوسط من شهرِ رجبِ الفردِ من شهورِ سنةٍ أربعٍ وثلاثين وسبعمئة أحسنَ الله تقضيها بمنَّةٍ وكرمه. قاله وكتبه افقرُ عبيده إليه أحمدُ بنُ يوسفَ بنِ محمدٍ مسعودٍ الشافعيِّ الحلبيِّ حامداً لله ربِّ العالمين ومُصَلِّياً على رسوله الأمين وآله وصحبه أجمعين وسلّم.